بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

تختلف هذه الطبعة عن الطبعة السابقة من وجهين ، أما أولهما فهو أنى أعدت النظر فى بعض الفصول ، وخاصة الفصل الخاص بحافظ إبراهيم وما كتبته فيه عن وطنيته ، فقد كنت تجاوزت — من بعض الوجوه — الاعتدال فى الحكم عليه مُغْفلا المقياسَ التاريخى النسبىَّ لظروف عصره ، وما كان يحوط أبناء جيله فيه من بلبلة سياسية ، ومن غير شك سلمتْ لحافظ نفسُه فى هذه الظروف ، ولم يقعد عن نصرة وطنه بلسانه ، بل كان فى أكثر أيامه الهاتفَ بخواطره الوطنية ومشاعره السياسية ، وخاصة فى أوائل هذا القرن حين كان الاحتلال على أشُدِّه . لذلك رجعت أعدِّل فى بعض أحكامى على وطنيته ، ومن رأيى دائماً أن المؤلف حَرِىٌّ ، حين يعيد طَبْع كتاب له ، أن ينقحه ويغير فى أحكامه ويبدل فى آرائه على ضوء ما جَدَّ من قراءاته سواء فى الشاعر أو فى عصره .

وأما الوجه الثانى الذى تختلف به هذه الطبعة عن سابقتها فهو أنى أضفت إليها خمسة فصول جديدة عن : الرقة المفرطة فى غزل إسماعيل صبرى ، والتشاؤم فى شعر عبد الرحمن شكرى ، والتغنى بالحرية فى شعر خليل مطران والتفاؤل فى شعر إيليا أبى ماضى ، وتأملات نفسية فى ديوان « همس الجفون » لميخائيل نعيمه . وهى أبحاث مختلفة أردت بها — كما أردت بسابقتها التى نُشرتْ فى الطبعة الأولى — أن أصور وجوهاً من تطور شعرنا العربى المعاصر عند بعض الشعراء البارزين . ومن الحق أن شعرنا تطور فى هذا العصر تطوراً حيًّا خصباً مسَّ كل شىء فيه من حيث المضمون ومن حيث الشكل والصيغة .

وقد أصبح من واجب النقاد أن يرسموا خطوط هذا التطور ويكشفوا عن صوره المختلفة عند الشعراء فى دواوينهم ، وهى صور أوسع من أن يحيط بها كتاب واحد ، ولعل ذلك ما جعلنى أختار طائفة منها وأتناولها بالبحث والدرس . وقد حاولت أن لا أقتطعها من جذورها القديمة فى شعرنا العربى الموروث ، فإنها تبدو حينئذ بتراء اجتُثَّتْ من أصولها اجتثاثا ، ومن المعروف فى تاريخ الآداب أن عصراً من عصورها فى أمة من الأمم لا يمكن أن ينفصم عن العصور التى سبقته ، وكأن هناك تياراً ثابتاً خلف العصور المتعاقبة ، يعمل فى القديم ولا يزال يعمل فى الجديد . فكل أدب له ماض بنى عليه ، وليس يعنى ذلك الجمود عند قواعد ثابتة ، وإنما يعنى الحركةَ الدائبة فى الآداب ، إذ يحس كلُّ جيل ما سبقه من أجيال لا من الناحية الجمالية وحدها بل أيضاً من ناحية الأفكار والمشاعر . وهو لا يتقيد بها ، وإنما يحسها ويحس نفسه وعصره وتتغير من خلالهما تغيراً يثبت فيه الاستمرار والدوام الحى .

وسيرى القارئ أن كثيراً من ضروب التجديد فى شعرنا المعاصر تضرب بجذورها فى شعرنا القديم ، مما يتيح طرافة محققة للباحث ، إذ يقابل ويقارن بين ما ورثناه وما كسبناه وجددناه ، فتتضح له حقائقنا الأدبية ، بما فيها من ثبات وحركة وتغير . ومن المحقق أن شعراءنا تعمقوا فى الآداب الغربية واستمدوا منها فى بعض صور من شعرهم ، ولكن من المحقق أيضاً أنهم لم يفنوا أنفسهم فيها ، بل ظلت لهم شخصيتهم العربية المستقلة ، وهى شخصية تؤكد حاضرها بالاتصال بماضيها والتطور به تطوراً يلائم عصرها ، تطوراً نرى أنفسنا فى تضاعيفه ، ونرى أسلافنا وكل ما توهجت به عقولهم . وقد حاولت أن أفسر ذلك فيما كتبت قبلا وفيما أضفت من فصول ، ولعلى أكون قد أصبت القَصْدَ ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

القاهرة فى ١٥ من مارس سنة ١٩٥٩ .

شوقى ضيف

مقدمة الطبعة الأولى

كلُّ مَنْ يتصفَّح دواوين شعرنا العربى المعاصر ويطيل النظر فيها يرى كثيراً من الاتجاهات الفنية الجديدة ، وهى اتجاهات فردية حيناً ، وجماعية حيناً ، فتارة يتجه الشاعر اتجاهاً خاصًّا به يستقل فيه عن غيره ، وتارة يتجه اتجاهاً عامًّا يساهم فيه مع طائفة من الشعراء ، إذ تنزع جماعة منهم منزعاً يشترك فيه أفرادها بحظوظ وأقدار مختلفة .

وكثيرٌ من هذه الاتجاهات يقصد به أصحابه إلى تجديد شعرنا فى مادته وصورته ، بحيث يرفع عن كاهله أعباءَ التقاليد العتيقة ، وينطلق فى أجواء واسعة من حقائق حياتنا ، ومن الكون وأسراره ، ومن الإنسان وعواطفه وما تحلم به نفسه الظاهرة والباطنة .

وتتداخل فى هذه الاتجاهات تأثيرات غربية ، ونحن جميعاً نعرف الاتصال المنظم بيننا وبين الغرب بتعلم لغاته الحية ، وبما اقتبسناه عنه من نيران الفكر والثقافة ، تلك النيران التى أذكت الجذوة الفنية فى شعرائنا ، ودفعتهم إلى التطور بشعرهم تطوراً خطيراً فى شكله وموضوعه . فلم تعد تسيطر عليهم القصيدة القديمة بموضوعاتها الخاصة ، بل أصبحت تسيطر عليهم عواطفهم وحياتهم النفسية وحياة شعوبهم وما يختلف عليها من أحداث ، ويلم بها من خطوب . فكل ذلك يؤدونه ويستقصونه ويستوحونه ، كما يستوحون المثُل والنماذج الغربية ، حتى فى النسيج الموسيقى للقصيدة وما ينبغى أن تستقر أبياتها عنده من رَوِىٍّ وقافية .

وليس معنى ذلك أن شعراءنا المعاصرين ينفصلون عن أسلافهم وتقاليدهم الفنية الموروثة ، فما يزال المجلُّون السابقون منهم يحتفظون بشخصية شعرنا ومقوماته اللفظية مع التمثل الدقيق للشعر الغربى وأنماطه . فهم مجددون ، وهم فى الوقت نفسه متصلون بالقديم ، يعتدون به كما يعتدون بشخصياتهم ومقوماتهم المستقلة التى

أهّلتهم لها ثقافاتهم وشعورهم الكامل ببيئاتهم وعصورهم وبأنفسهم وعقولهم ومواهبهم التى تعبر عن شعوبهم ومثلها العليا من الخير والحق والجمال .

وبذلك لم يعد الشعر عندنا ألفاظاً تُرصفُ رصفاً لتؤلف قصيدة فى موضوع تقليدى ، بل أصبح عملا أدبيًّا جديراً بالعناية والاهتمام لما يتضح فيه من ذات الشاعر وذات أمته ، ولما يرسمه أصحابه من ألوان الفكر والحس والشعور .

وقد حاولتُ فى الصحف التالية أن أعرض على القارئ صوراً لامعة من دواوين هذا الشعر تميّز أصحابها بغير قليل من الشهرة ، وهم موزعون على العالم العربى ، فلمصر حافظ إبراهيم وأحمد محرم وعباس العقاد وعلى محمود طه ، وللعراق معروف الرصافى وجميل الزهاوى ، ولتونس أبو القاسم الشابى ، وللبنان إلياس أبو شبكة ، ولسوريا عمر أبو ريشة . ولم أقصد إلى الحصر والاستقصاء ، فبينَ منْ لم أتحدث عنهم شعراء لهم نفس التألق والبريق .

وكلٌّ من هؤلاء الشعراء الذين درستهم نظرتُ إما فى مجموع شعره أو فى ديوان خاص لفتنى فيه اتجاه طريف ، رأيت أن أصوره صورة تامة ، حتى تستبين معالمه وحدوده . وختمتُ هذا العمل بفصل عن « ملامح شرقية فى شعر المهاجرَ الأمريكى » لأدلّ على أن شاعرنا المعاصر ، مهما غلا فى تجديده ، يُشَدُّ بأسلاك نفسية وروحية إلى أصوله العربية . فشاعر المهاجرَ قد تأثر تأثراً عميقاً بالغرب وآدابه ، وأنتج ما يمكن أن نسميه شعراً عربيًّا أمريكيًّا ، ومع ذلك لا نقرأ فيه حتى نرى روح العرب والشرق جاثمة مستقرة فى قلبه وشعره .

وأرجو مخلصاً أن أكون قد صورتُ حقًّا اتجاهات من تعرضت لهم فى مجموع شعرهم أو فى بعض دواوينهم ، وفسرت طرَفاً من خصائصهم الأدبية . وإنى لأعترف بأن الكتابة فى الشعر المعاصر شائكة ، وأن من الصعب أن يضع الكاتب نفسه فى ظروف الشاعر الاجتماعية والنفسية وضعاً دقيقاً . ومع ذلك فقد حاولت ، وآمل أن لا أكون قصرت ، وعلى الله قَصْدُ السبيل .

القاهرة فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٣ .

شوقى ضيف